جامعة بنغازي –كلية التّربية

مجلة كلية التربية ... العدد الخامس عشر ... يونيو 2024

الأسلوبية الصوتية في سورتيْ التكوير والانفطار

Vocal stylistics in the suras of Al-Takweer and Al-Intiftar\

د. أحمد مصباح سالم اسحيم

عضو هيأة تدريس بكلية الآداب جامعة بنغازي

Dr- ahmed musbah salem suhaim

university stuff member- faculty of art- Benghazi university

Email: ahmedasheem4@gmal.com

الملخص

الأسلوبية الصوتية في سورتي التكوير والانفطار

يقوم هذا البحث بدراسة الأسلوبية الصوتية باعتبارها عنصراً جديداً من عناصر علم الأساليب الذي اعتبره كثر من أهل الأدب وعلماء النقد بديلاً عن البلاغة العربية القديمة، ومجال تطبيقها.

وتمثلت الأسلوبية الصوتية في القرآن الكريم أجمل تمثيل في سورتي التكوير والانفطار.

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية- الصوتية ـ الأسلوبية الصوتية.

abstract

Vocal stylistics in the suras of Al-Takweer and Al-Intiftar

This research studies phonological Stylistics as a new element of Stylistics, which was considered by many literary and critical scholars as an alternative to the old Arabic rhetoric, and its application.

The vocal stylistics in the Holy Qur'an is best represented in the suras of Al-Takwir and Al-Infitar.

Key words: Stylistics, phonological, phonological Stylistics.

مقدمة البحث

الحمد لله العالمين، والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فللصوت العربي قيمةٌ كبيرة من حيث الوصف والمعني والوظيفة التعبيرية قديماً وحديثاً، ومن بين ثمراته على مستوى الدرس اللساني الحديث ظهور الأسلوبية الصوتية (الاسلوبية الصوتية فرع من علم الأسلوبية stylistcs يهتم بالجانب الصوتي والفونولوجي في النصوص الجميلة حيث يساعد في كشف التوظيف الصوتي لتجسد الخيال وتحقيق الصورة شارحاً أبعاد التكرار والتقابل والتوازي في مستوي الأصوات المفردة ومستوي السياق الصوتي تتابعاً وتطريزاً معتمداً علي مصطلحات علم الأصوات phonetics والفونولوجيا) (الضائع ،2002: 15)

(phonosty listics) التي انبثقت عن الدرس الأسلوبي بعد ما اتسعت أبعاد الدرس اللساني واشتركت مع ميادين معرفيه أخري.

● **إشكالية البحث** : تتحدد اشكالية البحث في إبراز قيمة الصوت العربي دلالياً عن طريق ربط وصفه نظرياً بقيمته الإيقاعية من خلال ما يحدثه من توازنٍ صوتيٍ أو موسيقي داخل النص ، ومجال هذا البحث هو النص القرآني؛ باعتباره معجزاً عن الصعد اللغوية كَافةً، إذ أن هناك ظواهر صوتيةً كالتنغيم والوقف والنبر .....اعْتُبِرت مجال بحث على مستوى الأسلوبية الصوتية، وقد أمكن تطبيقها في بحوث عملية كثيرة، والمجال التطبيقي لهذه البحوث هو القرآن الكريم والشعر العربي منذ ظهور هذا المصطلح – الأسلوبية الصوتية – وحتي يوم الناس هذا.

● **أهداف البحث**: يهدف هذا البحث إلي:

1. إبراز قيمة الظواهر الصوتية في القران الكريم وأثرها في المعني.
2. التعرف على القيمة الجمالية للأصوات العربية داخل النص القرآني.
3. إظهار قيم دلالية وأسلوبية في سور القرآن الكريم وإثباتها صوتياً عن طريق الأسلوبية الصوتية باعتبارها أحد طرائق البحث الأسلوبية الوافدة إلينا من الدرس اللساني الحديث.

● **الدراسات السابقة**: باعتبار أنّ الأسلوبية الصوتية فرعٌ عن الأسلوبية التي ظهرت منتصف القرن العشرين، والذين عارضوا هذا المصطلح ولادةً وتفاعلاً هم في طالعة من كتبوا فيه وطبقوه على النصوص العربية، ومن بين هؤلاء:

1- د. تمام حسان في دراسته الصادرة سنه 1993م بعنوان: **البيان في روائع القران دراسة اسلوبية في النص القرآني**، حيث أثبت من خلال دراسته قيمة الظواهر الصوتية في بيان جماليات النص كالفاصلة، والسجع، وما تضيفه الظواهر التركيبية كالتقدم والتأخر والحذف.... الخ من جماليات على صعيد بنية النص بكامله تجسدت عنده في النص القرآني الكريم.

2- د. محمد إبراهيم شادي في دراسة له بعنوان: **البلاغة الصوتية في القران الكريم** – الصادرة سنة 988 م – مؤسسة الرسالة – القاهرة وهي دراسة تؤصل للظواهر الصوتية في القرآن الكريم ضمن مستوى البلاغة وتحديداً عند علماء الاعجاز، وما سجله الشيخ عبد الجرجاني 471 هـ من ممارسات صوتية لعلماء البلاغة والتي تمس جانب الإعجاز، وعنده أن البلاغة الصوتية: هي كل وسيلة صوتية تتحقق فيها البلاغة بمعناها المصطلح عليه عند البلاغيين وعليه لابد من ملاحظة أمرين:

الأول: أنّ البلاغة الصوتية تتجاوز الإطار الصوتي بجرسه وإيحائه وإيقاعه واعتداله إلى ما يحدثه من ابراز المعني وتأكيده وتسلسله وانتظامه.

الثاني: أن يتحقق بالأداء الصوتي مطابقة الكلام لمقتضي الحال (**شادي**، 1988م: 11)

هذا عن الإطار النظري لدراسة لدكتور محمد إبراهيم شادي وهي وإن كانت سابقة على دراسة تمام حسان إلا أنني قدمت دراسة تمام حسان عليها؛ كونها معتمدة على الأسلوبية الصوتية الجديدة بخلاف دراسة محمد إبراهيم شادي المبنية على التراث البلاغي.

ثم فتحت هاتان الدراستان الباب على مصراعيه في دراسة الأسلوبية الصوتية بالوجهتين البلاغية القديمة والأسلوبية الجديدة ومن هذه الدراسات:

3- دراسة الدكتور سيد خضر بعنوان: **الفواصل القرآنية دراسة بلاغية الصادرة العام** 2000م عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، هذه الدراسة متكئة على التراث اللغوي عامة، والبلاغي خاصة مبرزة دور الظواهر الإيقاعية في نهايات الجمل العربية، ثم ربط هذه الظواهر بمبحث الفاصلة القرآنية من وجهة نظر بلاغية في سورتي البقرة والأسراء.

4- دراسة جامعية للبحث: عثمان لا لوسي (رسالة ماجستير) بإشراف: أ. د. عيسي لحيلح، جامعة منتوري – قسنطينة – 2009 م بعنوان: **الإعجاز الإيقاعي في القرآن الكريم**، متخذة من الفاصلة القرآنية، ومبحث السجع والتناسب مجالا تطبيقا لهذا البحث.

5- دراسة الباحث مبارك حنون بعنوان : **في التنظيم الإيقاعي للغة العربية نموذج الوقف** الصادرة عن الدار العربية للعلوم ناشرون، ودار الأمان بالرباط عام 2010م قدمت هذه الدراسة تأصيلا للمسائل الإيقاعية في اللغة العربية ،مبيناً فيها أصول البحث الصوتي عند العرب للأسلوبية

الصوتية، معرّفاً بمجال اللسانيات الصوتية في الدراسات الأوروبية، مع إمكان مقارنتها في اللغة العربية، وذلك ضمن مباحث عديدة سبق له بحثها، ومن بينها ما خصصه في هذه الدراسة ألا هو نموذج الوقف وهي دراسة تجمع ما بين الوجهتين التراثية واللسانية الحديثة، وقد كان في مستوى البحث التراثي متنقلاً ما بين اللغويين والنحاة والقراء؛ باعتبارهم قد اشتركوا فيما بينهم ببحث الإيقاع والصوت العربي للغة العربية ، وقد أطلق على هذا الاشتراك بين علماء العربية في بحثهم للمسائل الصوتية اسم التطريز الصوتي .

6- دراسة جامعية للباحثة: غادة فوارته خارف، (رسالة ماجستير) بإشراف أ. د. محمد جواد النوري – جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين عام 2021 م بعنوان: **الأسلوبية الصوتية في سورة القصص**، وفي هذا البحث أرَّخ الباحث للأسلوبية الصوتية من خلال علم الأسلوب الموضح سابقا، وانحصر مجال البحث في سورة القصص جامعة في ذلك بين وجهتي البحث البلاغية والصوتية الجديدة.

هذا عن الدراسات السابقة في موضوع الأسلوبية الصوتية هذا الوافد الجديد الذي أثرى مجال البحث لبلاغة النص من مستوى الصوت والتزامن والإيقاع والتوافق تنغيماً ونبراً وجهراً وهمساً وابتداء ووقفاً، وكلها بضاعتنا ردت إلينا، وقدا أفدت منها في إعداد هذا البحث على مستوى التأطير والمنهج.

- **المنهجية** :-

اتبع في بحث (الأسلوبية الصوتية في سورتي التكوير والانفطار) دراسة بلاغية إيقاعية المنهج الوصفي، وقد تم تعزيزه أيضاً بالتحليل والمناقشة للمصطلحين الصوتي والبلاغي، إسوة بالدراسات السابق ذكرها، وتمشياً مع أهداف هذه الدراسة.

- **خطة البحث**: وضعت خطة هذا البحث بدءاً بعنوانه: **الأسلوبية الصوتية في سورتي التكثر والانفطار** على النحو الآتي:

1 – مقدمة عامة تضم الهيكل العلمي لفكرة البحث وأهدافه ومنهجيته والدراسات السابقة في هذا الموضوع.

2 – مدخل البحث وعنوانه: **من بلاغة الإيقاع إلى الأسلوبية الصوتية عرض وتوضيح**، اشتمل هذا المدخل علي التعريف بالإيقاع وعلاقته ببناء النصوص وإظهار قيمتها مع بيان العلاقة بينه وبين الأسلوبية اختلافها وتنوعها.

3 – المبحث الأول وعنوانه:

الأسلوبية الصوتية في سورة التكوير (بلاغة وإيقاعاً) ويشتمل على مطلبين اثنين هما:

* المطلب الأول: **البنية الأسلوبية لسورة التكوير**

* المطلب الثاني: **الأسلوبية الصوتية في سورة التكوير**

يُعْنَى هذا البحث بإبراز مظاهر الإيقاع الصوتي في سورة التكوير، وذلك بتتبع خصائص الأصوات المؤسسة لبنية المفردات والتراكيب في أي السورة محدداً أبرز سماتها ضمن مفهوم الأسلوبية الصوتية.

4 – المبحث الثاني وعنوانه: **الأسلوبية الصوتية في سورة الانفطار**

ويشتمل على مطلبين اثنين هما:

* المطلب الأول: **البنية الأسلوبية لسورة الانفطار من خلال (البلاغة الإيقاعية)**

* المطلب الثاني: **الأسلوبية الصوتية في سورة الانفطار.**

خُصِّصَ هذا المبحث بمطلبيْه للحديث عن الأسلوبية الصوتية في سورة الانفطار ضمن مستوى الإيقاع البلاغي والأسلوبية الصوتية من خلال أصواتها وتراكيبها المنتظمة والمتوافقة إلى حد كبير مع ما جاء في سورة التكوير.

5 – خاتمة تضم أهم نتائج هذا البحث.

6 – قائمة بالمصادر والمراجع

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

مدخل الدراسة: من بلاغة الإيقاع إلى الأسلوبية الصوتية – عرض وتوضيح

اعتني علماء العربية بالأصوات اللغوية عناية بالغة، وقد خص البلاغيون من بينهم الأصوات العربية بعناية خاصة بدءاً بشروط الفصاحة وعدم التنافر إلى قوة المعنى بناء على قوة الألفاظ يقول الجاحظ 205 هـ: "إنّ المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً، ومنهجه المتكلم دالاً متعشقاً صار في قلبك أحلى ولصدرك أملى" (الجاحظ، د ت: 1 / 254)

ويتصاعد به الإصرار على قيمة الصوت بلاغيا حين يقول: " ومن حروف الكلام وأجزاء الشعر ما نراها سهلة لينة ورطبة مواتية، سلسة النظام، خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمه واحدة وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد " (الجاحظ، د ت: 1 / 255)

وقد أكد هذا المبدأ أيضاً أبو الفتح بن جني 389 هـ حيث اهتم اهتماماً ملحوظاً بمحاكاة اللفظ للمعنى، ولم يكن اهتمامه بالمحاكاة لذاتها، وإنما لما يستتبع ذلك من قوة الدلالة؛ لأنّ اللفظ كلما كان

أشبه بالمعنى وأكثر محاكاة له كان أدل عليه " فكلما ازدادت العبارة شبها بالمعنى كانت أول عليه وأشهد لا لغرض فيه" (ابن جني، د.ت: 2/ 154).

وعن هذا النص يقول د. محمد شادي إبراهيم: "وهذا من صميم البلاغة الصوتية التي تلتقي مع موضوعات علم البيان في غرض أصيل هو قوة الدلالة ووضوحها"(شادي،1988 م: 15).

هذا عن بعض الأصول النظرية لمفهوم البلاغة الصوتية أو الإيقاعية وإن كانت كلمة إيقاع تقترب كثيراً من الاصطلاح العروضي، المختص بالشعر إلا أنه لا مشاحة في الاصطلاح، فالإيقاع من مصطلحات علم الأصوات كذلك، ودلالته التعبيرية استخدمت في القرآن الكريم وكلام العرب.

من أبرز البلاغيين الذين تعرضوا لقيمة الأصوات في بحث مسألة التعبير وجودته – ابن سنان الخفاجي رحمه الله 466هـ – " فهو يرى بأنّ حاجة الناظر في علم الفصاحة والبلاغة لمعرفة مخارج الحروف وأوصافها أمر ضروري؛ لأنّ الكلام ينتظم منها" (ابن سنان الخفاجي رحمه الله، 1952 م : 21 ، ضيف، 1990م : 152).

وهو هنا متأثر بعلماء التجويد، هذا من حيث التأصيل للبلاغة الصوتية عند الأسلاف، وقد لاقت في العصر الحديث انفتاحاً كبيراً من جهتي التطبيق والتنظير، فمن ناحية التطبيق عمد كثير من الباحثين إلى إبراز هذا الجانب كما سبق بيانه في الدراسات السابقة من هذا البحث، وأما من ناحية التنظير فقد أجرى على مصطلح البلاغة الصوتية عدة مقاربات مع مصطلحات اللسانية الحديثة وصولاً إلى الأسلوبية الصوتية والسؤال الآن: ما الأسلوب الصوتية؟ ومتى استخدمت؟

مصطلح الأسلوبية الصوتية هو أحد فروع علم الأسلوبية stylistics يهتم بالجانب الصوتي والفونولوجي في النصوص الجميلة حيث يساعد في كشف التوظيف الصوتي لتجسيد الخيال وتحقيق الصورة شارحاً أبعاد التكرار والتقابل والتوازي في مستوى الأصوات المفردة ومستوى السياق الصوتي تتابعاً وتطريزاً معتمداً على مصطلحات كل من علم الأصوات والفولولوجيا (الضالع، 2002: 15)

ويتحدد مجاله في دراسة النواحي اللسانية التعبيرية من جهة:

* التشكيل الصوتي اللغوي والصوتي والبلاغي في النصوص عامة يضاف إليها التشكيل الصوتي العروضي في النصوص الشعرية خاصة.

* التطريز الصوتي في الاستغراق الزمني والوقف الابتداء والتنغيم والإيقاع

* فن إلقاء النصوص وأدائها، وطرائق عرضها، ومهارات الإقناع الخطابي (الضالع، 2002: 15 بتصرف)

وهذه المحددات مما أغنى به الأسلاف رحمهم الله مجال البحث في علوم اللسان من قراءات وتجويد وأصوات، وما نراه اليوم من انفتاح هو امتداد لها.

أول من استخدم مصطلح photo stylistic هو نيقولاي تروبتسكوى في كتابه أصول الفونولوجيا الذي ظهر أول مرة في ألمانيا العام 1936 م في مطبوعات جماعية براغ اللغوية، ثم ترجم إلي الفرنسية بعد ذلك بعشر سنوات، ثم إلى الإنجليزية بعد ذلك بعشرين سنة أخرى (ميلكاالينتش، 2000 م: 237)

يقع هذا العلم – الأسلوبية الصوتية – ضمن ثلاثة مستويات:

1 – المستوى التعبيري

2 – الناحية التأثيرية

3 – الناحية التي تتناول طريقة عرض الأصوات (مستوى الشكل) وثلاثتها طبقت على النصوص النثرية والشعرية، وقد لاقت صدى واسعاً في نصوص العربية حتى على مستوى الخطاب السياسي والديني المعاصر (الضالع، 2002: 16)

هذه المستويات الثلاثة تتحدد من خلالها الأسلوبية الصوتية والبلاغة الإيقاعية، ومجالها التطبيقي النصوص على تنوّعها وتعددها، والنصان المختاران للتطبيق هما: الأول سورة التكوير، والثاني سورة الانفطار (يُنظر على سبيل المثال دراسة الحلوة، 2012 م)

المبحث الأول:

الأسلوبية الصوتية في سورة التكوير (بلاغة وإيقاعا)

* المطلب الأول: البنية الأسلوبية لسورة التكوير

* الطلب الثاني: الأسلوبية الصوتية في سورة التكوير

1.1 البنية الاسلوبية لسورة التكوير (الإيقاعية البلاغية)

سورة التكوير مكية وعدد آياتها تسع وعشرون آية، بدأت بأسلوب الشرط المتضمن لمعنى الظرف مبرزة علامات يوم القيامة، وقد جاء أسلوب الشرط في أربع عشرة آية إلي قوله تعالى: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} التكوير آية "14".

وختام الآي على فاصلة تاجية مما أحدث توازنا إيقاعيا، والتوازن: هو تماثل لغوي قائم على تعادل المباني أو المعاني المترابطة في سطور متطابقة الكلمات والعبارات والأصول، يحكمها توزيع صوتي واحد، فيحدث ذلك إيقاعاً وتنغيماً منسجماً يسهم في ترابط النص وتماسكه (العمري، 2001: 121).

{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}	{بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}
{وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ}	{وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ}
{وَإِذَا النُّجُومُ سُيِّرَتْ}	{وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ}
{وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ}	{وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ}
{وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ}	{وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ}
{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِرَتْ}	{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ}
{وَإِذَا النفوس زُوِّجَتْ}	{وَإِذَا الموؤد سُئِلَتْ}

سورة التكوير كما يقول القاضي الكرماني رحمه الله 505 هـ: "سورة التكوير من أولها شرط وجزاء وقسم وجواب " (الشيخ ، 1999 م: 7)

ومن جهة البلاغة الإيقاعية: ففي السورة استفهام ورد في قوله تعالى {بِأَيِّ ذَنَبٍ قُتِلَتْ} آية9 والحديث عن المؤودة وهي البنت التي دفنت وهي حية، وهذه منتهى الوحشية من سفهاء الجاهلية، وفي هذا الاستفهام التوبيخ، وقد ناسب التهويل في كثرة أساليب الشرط في سورة التكوير هنا وقلته في الانفطار ، ففظاعة الجرم متناسبة من حيث المعنى مع كثرة أسلوب الشرط الذي يُعدّ بمثابة

التهويل والتخويف لمرتكبي هذه الجريمة، وناسبت ما قبلها ((وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ)) آية: 7؛ لتكون بمثابة السبب والنتيجة المترتبة عليه بولادة البنت التي صارت موؤدة ثم قتلت .

أما القسم فقد جاء في قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} الآية 17 ،18

ومعنى عسعس أقبل بظلامه، وتنفس أضاء وأشرق، وفي هذه الآية من جمال الاستعارة البديعية ما يأخذ بالألباب فقد شبه النور ينبلج به الصبح بنسمات الهواء العليل، يحيي القلب والنفس، وشبه الفجر بالنائم يغط في سبات عميق، والفجر حيٌ يتنفس أنفاسه (النور والحركة الضياء) كأنه كان نائما ثم استيقظ، فاستنشق الهواء المنعش للنفس واستعاد نشاطه وحيوية (الصابوني، 2006: 396).

وجواب هذا القسم في قوله تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} آية 19 وأضيف القرآن هنا إلى جبريل وهو في الحقيقة قول الله –عز وجل–؛ لأنه نزل به من عند الله فإسناده إليه مجاز باعتبار أنه السبب في نزوله كما قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} الشعراء الآية: 193 (الصابوني، 2006: 397).

وفيه – أي إضافة القرآن إلى جبريل – دليل على وصف جبريل بالقوة والمكانة عند الله تعالى

هذا عن بناء السورة الكريمة من حيث الشرط والجزاء والقسم والجواب في السورة أيضاً ملامح بلاغية تتمثل في:

الكناية في قوله تعالي: {وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ} آية 22 حيث لم يقل جل وعلا: وما محمد بمجنون، وإنما كنى عنه بقوله: (صاحبكم) دون اسمه الشريف؛ لتوبيخهم وبيان سخافة ما افتروا به عليه من الكذب ورميهم له بالجنون.

وفي قوله تعالى: {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} الاستفهام للتوبيخي والمعنى فيه: ليس هذا القران المعجز من قول بعض الشياطين كما افتري وزعمتم فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم لهذا القران مع سطوع بيانه وروعة وإعجازه كمايكل لتارك الجادة اعتسافاً أو وذهاباً في بينات الطريق: أين تذهب؟ (الزمخشري، د. ت: 4 / 713).

ومظهر التناسب الإيقاعي بلاغياً من خلال بنية الأسلوب في سورة التكوير:

الشرط، والقسم، والجزاء والجواب.

* التناسب التعبيري من خلال تكرار أسلوب الشرط، للتهويل.

* التصاعد الصوتي تبعاً للقسم والجزاء والجواب.

* والتغاير الصوتي إلى فاصلتي الميم والنون في جوابي القسم تأكيداً لمضامين أفعال الخصم

ما صاحبكم بمجنون ——— تذهبون

ما هو بقول شيطان رجيم ——— تذهبون

وهما: (الميم والنون) من حيز نطقي واحد.

هذا عن البنية الأسلوبية والإيقاعية البلاغية.

1- 2 الأسلوبية الصوتية في سورة التكوير:

تأسياً على الإيقاعية البلاغية في المطلب السابق والممتثلة في التوازن في الأساليب المشار إليها سابقا: الشرط، والجزاء والقسم والجواب، بالإضافة ما تخللها من:

أ – التسميط: وهو أن يكون في صدر الكلام أو الرسالة أو البيت أبيات مشطورة أو منهوكة أو مقفاة، ثم تجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تنقضي، أو الرسالة حتى تنتهي فتصبر كالسمط الذي احتوى علي جواهر متشاكلة (ابن النقيب، 1995: 478)، وهو ما أشار إليه ابن رشيق رحمه الله 456 هـ نقلا عن أبي القاسم الزجاجي أنه سمي بذلك تشبيها بسمط اللؤلؤ وهو سلكه الذي يضمه ويجمعه مع تفرق حبه (ابن رشيق ،1990: 16/ 180) ، يقول ابن النقيب رحمه الله ، ومنه : قوله تعالى : {إِذَا الشَّمسُ كَوَّرَتْ وَاذَا النُّجُومُ اِنْكَدَرَتْ} إلي قوله تعالى : {عَلَمَتْ نَفْسُ ما أَخْضَرتْ}، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسُمْ بِالْخُنسّ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلَ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحَ اذا تُنَفَّسُ﴾.

ب- تجنيس التصريف: وهو أن يكون الحرف فرقاً بين الكلمتين ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسُمْ بِالْخُنّسِ وَالْجَوَار الْكُنَّسِ﴾ (ابن النقيب ،1995: 500)

الأمر الذي ترتب عليه مسارٌ إيقاعي خاص أظهر هذا المسار الإيقاعي تنغيماً صوتياً ما بين فاتحة السورة ممثلة في أسلوب الشرط المتوازنة على فاصلة تائية وانتقالا إلى القسم بمغايرة فواصل آيه إلى السين؛ ليدل علي سهولة اختفاء النجوم الموصوفة بالخنس نهاراً، وظهورها في الليل ضياء، والكنس نجوم تسير في أفلاكها ثم تدخل في كناسها وهو – الكُناس – الكهف الذي تأوي إليه الظباء.

هذان المظهران: التسميط وتجنيس التصريف ألّفا نوعا من التراتبية الأسلوبية من جهة الصوت الموافق تمام الاتفاق مع جودة المعنى التعبيري، وفيما يلي توضيح ذلك في النقاط الآتية:

1. ناسب مطلع السورة المتضمن للشمس والنجوم حقائق ما في نفوس المشركين باعتبار اختفائها وظهورها كونهم يظهرون الإيمان تارة ويخفونه تارة.

2. تُعدّ النجوم آيات واضحة للمشركين تهديهم في مسالكهم وأسفارهم وهي من صنع الله فناسب ذلك أن أقسم الله بها؛ دلالة على عظمتها وتعزيزاً للمشركين بها وبمساراتها.
3. مَثَّلَ صوت السين مبدأ السهولة والحركة ذهاباً وإياباً باعتبار أنّ ذلك من صفات النجوم وسير الكواكب في أفلاكها.
4. أدى هذا الإيقاع البلاغي إلى توازن نصي بين تراكيب الآي في سور القرآن بما فيها سورتا التكوير والانفطار.
5. هذا الإيقاع كما بَيَّنَ الدكتور تمام حسان –رحمه الله– أنه واقعٌ في نطاق التوازن لا في نطاق الوزن، فالوزن في العربية للشعر والتوازن في الإيقاع للنثر، والذي في القرآن إيقاع متوازن لا موزون .

إنّ الناظر في الأسلوبين الإيقاعين على مستوى البلاغة والاسلوبية الصوتية في سورة التكوير سيرى ذلك الأثر موجوداً أيضاً في سورة الانفطار، وهو ما سيبحث في الجانب الثاني من هذا البحث.

المبحث الثاني:

الأسلوبية الصوتية في سورة الانفطار

- المطلب الأول: البنية الاسلوبية لسورة الانفطار من خلال (البلاغة الإيقاعية)

- المطلب الثاني: الأسلوبية الصوتية في سورة الانفطار

1.2 البنية الاسلوبية لسورة الانفطار (من خلال البلاغة الإيقاعية)

اشتملت سورة الانفطار على ملمح أسلوبي عام تحدد في: الشرط والجزاء، والقسم وجوابه (الشيخ، 1999: 246).

هذا باعتبار التوافق بين الصوتين – سورة التكوير – وسورة الانفطار – وللتوافق وجوه سبق بيانها، فماذا عن الاختلاف؟

فمثلاً في التكوير ﴿وَإِذا الْبِحَارُ سُجرتْ﴾ الآية 6، وفي الانفطار:

﴿وإِذَا الْبِحارُ فُجرت﴾ الآية 3؛ لأنّ معنى سُجِّرت عند أكثر المفسرين أُوقِدَتْ فصارت ناراً من قولهم: سُجِّرَت التنورُ، وقيل: هي حجار جهنم تملأ حميماً فيعاقب بها أهل النار فخُصَّت هذه السورة سُجِّرَت موافقة لقوله: ﴿سُعِرَتْ﴾ ليقع الوعيد بتسعير النار وتسجير البحار (الشيخ، 1999: 246)

كذلك في التكوير ﴿وَإِذَا النُّجُومُ اِنْكَدَرَتْ﴾ الآية: 2، وفي الانفطار: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ أَنْتَرَتْ﴾ الآية: 2 أي تساقطت، وفي الكواكب الانفطار استعارة مكنية (الاستعارة المكنية: هي التي حذف فيها المشبه وأُشير إلية بإحدى لوازمه مثل قول أبي ذؤيب الهذلي : وإذَا الْمنَيةُ أَنْشَبَتْ أَظفَارهَا ألْغَيْتَ كُلَّ تَمِيمةٍ لاَ تنْفَعُ (يُنظر، **التلخيص في علوم البلاغة**، ص139) : حيث شبه النجوم بجواهر منتظمة في عقد قُطع سلك هذا العقد، فتناثرت متفرقة وطوى ذكر المشبه به وهو العقد المنظوم ورُمِز له بشيء من لوازمه وهو الانتشار وعلى طريقة الاستعارة المكنية (الصابوني، 2006م: 398).

وفي الانفطار: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بَعْثَرَتْ﴾ الآية 4، وفي التكوير كان المقابل: ﴿إِذَا المودة سُئِلَتْ بِأَيّ ذَنْبٍ قَتَلَتْ﴾، وهي أي الكواكب والبحار والقبور قلبت وأثيرت وهذه كلها زايلت أماكنها فلاقت كل واحدة قرائنها (الشيخ، 1999 م: 246).

كذلك في التكوير: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأُخْرَتْ﴾ الآية 14، وفي الانفطار: ﴿ما قَدَّمَتْ وَأُخْرَتْ﴾ الآية 5؛ لأنّ ما في السورة متصل بقوله: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نَشَرَتْ﴾ فقرأها أربابها فعملوا ما أحضرت، وفي الانفطار متصل بقوله: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بَعْثَرَتْ﴾ والقبور كانت في الدنيا، فيذكرون ما قدموا في الدنيا وما أخروا في العقبى (الشيخ، 1999: 246)

كذلك الاستفهام في قوله تعالي ﴿يأَيُّهَا الْإِنْسَانُ ما غرك بُوبك الْكَرِيمَ﴾ الانفطار الآية 6، وهو للعتاب والتوبيخ بمعني: كيف تجرأت عل عصان ربك مع إحسانه إليك والمقصود بالإنسان هنا هو الكافر؛ بدليل التوبيخ (الصابوني ، 2006م: 398)

أيضاً تكرار لفظ الاستفهام في قوله تعالي: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ ما يوم الدِّينِ﴾ الانفطار الآية 18، 19 لزيادة التهويل والتعظيم لأمر يوم القيامة كأنه من الهور والشدة فوق الوصف والخيال (الصابوني ، 2006م: 398)

والناظر لفواصل سورة الانفطار سيري حسن انتظام وتوازن ليس فقط من جهة الفاصلة القرآنية، بل على مستوى التصاعد والترتيب، موافقاً موازياً لما في سورة التكوير، وبما أن طالعة السورتين شرطية فقد تميزت مطالع سورة القرآن المبدوءة بأسلوب الشرط بخصائص عدة ذكرها الدكتور عبد العظيم المطعني هي:

1- أنّ الطابع الغالب عليها أنها مكية النزول ماعدا سورة الزلزلة حيث نزلت في المدينة، والنصر التي فيها رأيان.
2- أنّ معظم هذه السور تتحدث عن يوم القيامة ومقدماتها مع ما اقترن به الحديث عنها من أغراض أخرى لها بالمقام نسبٌ ورحمٌ.
3- أنّ هذه السور السبع المجموعة الشرطية أو في القسم الشرطي موضوعاتها أمور مستقبلية في الغالب استقبالاً حقيقياً.
4- أنّ الحديث فيها عن مشهد أو مشاهد من يوم القيامة أوعن أمر يتكرر من مظاهر الطبيعة، وسنة الله في الكون أوعن مصير محتوم فالأداة المفصلة هي (إذا) المؤذنة بتحقيق شرطها وحوابها.
5- أما القيمة البيانية لهذا المطلع الشرطي فهي أنّ الأسلوب الشرطي يمتاز بربطه بين أجزاء الكلام ربطاً ملاحظاً فيه ترتيب السبب على المسبب فإذا ذكرت أداة الشرط وأردفت بفعل الشرط تشوقت النفس إلي ذكر ما سيكون (المطعني، 2014م: 198/1)

هنا عن القيمة البلاغية لمضامين الأسلوب في سورة الانفطار.

2-2 الأسلوبية الصوتية في سورة الانفطار

لا يخفى على القارئ لسورتي التكوير والانفطار ما بينهما من التقارب والتماثل على المستوى الصوتي وكذلك التركيبي.

وقد مضى في المبحث الخاص بالأسلوبية الصوتية لسورة التكوير القيمة الصوتية لمفهوم التوازن، وقد ذكر الدكتور محمد العمري له شروطاً ثلاثة هي: الكثافة ،والفضاء والتفاعل ، وثلاثتها متفقة

في نص سورة الانفطار لاسيما عنصر التفاعل الذ ي حدده تمام حسان– رحمه الله– في الوزن والتوازن معتبراً إياها من صور الإيقاع وهي "من القيم الصوتية التي تصلح أن تكون مجالاً للفن والجمال، أما الوزن فحسبك أن تتأمل ما يمنحه من الجمال للشعر والموسيقى ونحوها ، وأما التوازن فيكفي أن تنصت إلى صوت قارئ مجيد يرتل القرآن الكريم ولا أقصد ترتيل التطريب بل الترتيل بدون تطريب وسترى عندئذ أن ما في القرآن من جمال التوازن قد يجاوز أحياناً جمال الوزن، وانظر كذلك إلى الكثير من أساليب الترتيل وبخاصة ما بني منها على قصار الجمل وسوف ترى لها جاذبية خاصة تجتذب إليها انتباهك ، وتمنح أذنك من المتعة ونفسك من الارتياح ما لا تجده في بعض الشعر والغناء" (تمام حسان ،1993م: 270)

أما ما يخص الكثافة من حيث التعبير فقد بينها الدكتور عبد العظيم المطعني بقوله: " لنتأمل الشرط الذي بدئت به ولننظر إلى الأشباه والنظائر التي عطفت عليه " (المطعني، 2014م: 200/1) فمن خلالها أدت المتواليات الصوتية لفاصلة التاء دورها التأثيري في المتلقي، ففواصل الآيات هي التاء الساكنة، وهي من الحروف المهموسة وتجاورت الوحدات الصوتية فصارت كالأنغام الموسيقية سريعة الحركة لاهثة الإيقاع تشترك بتصويرها الصوتي في تجسيد المشهد وتمثيله للخيال" (المطعني، 2014م: 201/1)

ولاستخدام حرف التاء سر خاص يقول الدكتور عبد العظيم المطعني: ولعل السر في ختم هذه الفواصل بالتاء الساكنة الهامسة الإشارة إلى انقضاء حركة الحياة الأولى في الكون، والإيذان بسيطرة الخوف والدهشة على النفوس والوجوم الذي يغشى الناس {وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا} (المطعني، 2014م: 201/1)

والناظر إلى فواصل القرآن وبخاصة سورتي التكوير والانفطار سيرى أنها قد جاءت على أسهل الأصوات وأخفها، وقد اختصت – الفاصلة – بعدة أمور:

1 – ختمها في الغالب بحروف المد واللين وإلحاق النون والميم بها وحكمته التمكن من التطويب، قال سيبويه: " إنهم – أي العرب – إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون يريدون مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا " (سيبويه، 1988م: 2 /298)

2 – أما في القرآن فقد جاءت على أسهل موقع وأعذب مقطع، فالحروف التي تقع بها الفواصل إما متماثلة أو متقاربة، ولا تخرج عنهما كما قال فخر الدين الرازي. (الرازي ، 1989م: 87)

3 – فاصلة النون وقعت أيضاً في السورتين، ولا يخفى ما فيه من التنغيم على مستوى الأداء والوقف فضلا عن جرسه المعبر.

وعلى مستوى خاتمة السورة – الانتظار – فقد اختمت بالاستفهام الذي أجيب عنه بقوله تعالى : { ومَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ }الانفطار الآيات 17، 18، 19، وفي الاستفهام تكرار كما مضى سابقاً أفاد التعظيم ليوم الدين، وقيل: أحدهما للمؤمن والثاني للكافر، في مقابل خاتمة سورة التكوير بوصفه جواباً للقسم، ومن خلال النظر إلى خاتمة السورتين فقد ختمتا بالجواب، الأولى جوابا للقسم ، والثانية جواباً للاستفهام عن يوم الدين

الخاتمة

خلص البحث إلى نتائج منها:

1- يُعد بحث (الأسلوبية الصوتية) مجالاً رحباً لبحث بلاغة القرآن الكريم بالرؤيتين التراثية الحديثة.

2- تمثل الأسلوبية الصوتية مع البلاغة الإيقاعية عنصرا تطبيقيا ومجالا دراسيا على النصوص العربية قرآنا وحديثا وشعرا ونثراً.

3- أبرزت الأسلوبية الصوتية مع البلاغة الإيقاعية في سورتي التكوير والانفطار جوانب كثيرة من القيم الأسلوبية والإيقاعية تتحدد في:

- التوازن
- الجناس الاشتقاقي وجناس التصريفي
- التوافق على مستوى الفواصل
- التسميط
- التناسب الصوتي ممثلاً في حروف التاء والسين والنون والميم.

4- تعد الأصوات المتفقة في السورتين من حيث الفاصلة مؤدية للمعنى على مستوى الدلالة، ومحققة للتصوير اللغوي لمضامين الموضوعات المعروضة في السورتين.

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم

1- الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق عبدالسلام هارون، د ت .

2- الحسن بن رشيق، البلاغة العربية تطور وتاريخ، دار المعارف، المطبعة الثامنة، 1990م.

3- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، القاهرة 1952 م

4- سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخاتجي بالقاهرة، مصر، 1988م.

5- شوقي ضيف، البلاغة العربية تطور وتاريخ، دار المعارف، الطبعة الثامنة، 1990م.

6- عبدالواحد بن الشيخي، البديع والتوازي، مطبعة الاشعاع الفنية، ط، 1999 م.

7- عثمان بن جنى، الخصائص، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الرسالة، دت.

8- عمرو بن عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة مطبعة المدني، 1991م،

9- عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الرسالة، دت.

10- الكرماني، أسرار التكرار في القرآن الكريم.

11- محمد إبراهيم شادي – البلاغة الصوتية في القران الكريم مؤسسة الرسالة القاهرة 1988 م

12- محمد بن حمزة الكتاني، أسرار التكرار في القران الكريم ، تحقيق عبدالقادر أحمد عطأ، دار الفضيلة، 1977 م .

13- محمد بن سليمان ابن النقيب، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم المعاني والبيان والبديع واعجاز القران كشف عنها وعلق علي حواشيها زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1995 م

14- محمد بن صالح الضالع – الأسلوبية الصوتية في القرآن الكريم، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، 2002 م.

15- محمد علي الصابوني، الإبداع البياني في القرآن العظيم، المكتبة العصرية، بيروت ، 2006 .

16- محمد بن عمرو الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دراسة وتحقيق: أحمد حجازي السقا المكتب الثقافي، القاهرة ، 1989 م .

17- محمد العمري، الموازنات الصوتية، في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، أفريقيا الشرق، 2001.

18- محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة ، 2014 م.

19- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وغوامض التأويل في وجوه الأقاويل، دار الكتاب العربي ، د ت

20- مليكا ايفتش، اتجاهات البحث اللسان، ترجمة سعيد مصلوح ووفاء كامل فايد الطبعة الثانية ، القاهرة ، 2000 م .

21- ابن النقيب، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع واعجاز القران، كشف عنها وعلق على حواشيها: زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط ، 1995 م.

22- د. نوال بنت إبراهيم الحلوة، التطوير الصوتي لسطح النص دراسة البني التوازن في خطبة الشيخ الدكتور صالح بن حميد إمام وخطيب الحرم الملكي، (مقاربة نصية) الرياض – 2012 م منشورات المجمع ، المملكة العربية السعودية.